

﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

[الأنعام: 45]

✽ مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

تسليّة للؤمنين
باستئصال
شأفة الظالمين

لَمَّا ذَكَرَتْ الْآيَاتُ السَّابِقَةُ أَنَّ اللَّهَ ﷻ أَرْسَلَ الرُّسُلَ إِلَى أَقْوَامِهِمْ لِيَدْعُوهُمْ إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ تَعَالَى، وَتَرْكِ الْأَصْنَامِ وَالْأَوْثَانِ، وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يُؤْمِنُوا، بَلْ كَذَّبُوا، وَعَانَدُوا، فَابْتَلَاهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِالسَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ، وَظَلَّوْا عَلَى عِنَادِهِمْ؛ بَيَّنَّ هُنَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ مَصِيرَهُمْ بِأَخْذِهِمْ عَلَى جَهَةِ الْإِسْتِئْصَالِ، فَقُطِعَ دَابِرُهُمْ؛ لَيْسَتْ رِجْلُهُمْ مِنْهُمْ الرُّسُلُ وَالْمُؤْمِنُونَ، وَهَذِهِ نِعْمَةٌ تَسْتَوْجِبُ الشُّكْرَ؛ لِأَنَّ اللَّهَ أَنْجَزَ وَعْدَهُ، وَصَدَّقَ رُسُلَهُ بِهَلَاكِ الْمُعَانِدِينَ.

وَذَهَبَ الْبَقَاعِي إِلَى أَنَّهُ "لَمَّا كَانَ مِنْ عَادَةِ الْغَالِبِ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا أَنْ يَفُوتَهُ آخِرُ الْجِيُوشِ وَشُدَّابِهِمْ لِمَلِّ أَصْحَابِهِ مِنَ الطَّلَبِ وَضَجَرِهِمْ مِنَ النَّصَبِ وَالتَّعَبِ، وَقُصُورِهِمْ عَنِ الْإِحَاطَةِ بِجَمِيعِ الْأَرْبِ؛ أَخْبَرَ تَعَالَى أَنَّ أَخْذَهُ عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ، وَأَنَّ نِيْلَهُ لِلْآخِرِ كُنْيَلِهِ لِلْأَوَّلِ عَلَى حَدِّ سَوَاءٍ"⁽¹⁾.

✽ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(1) ﴿فَقُطِعَ﴾: الْقَطْعُ: أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى صَرَمٍ وَإِبَانَةٍ شَيْءٍ مِنْ شَيْءٍ⁽²⁾، مُدْرَكًا بِالْبَصَرِ، كَالْأَجْسَامِ، أَوْ مُدْرَكًا بِالْبَصِيرَةِ، كَالْأَشْيَاءِ الْمَعْقُولَةِ، فَمِنْ ذَلِكَ قَطْعُ الْأَعْضَاءِ، نَحْوُ: ﴿لَأَقْطِعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ﴾ [الأعراف: 124]، وَمِنْ اسْتِعْمَالِهِ فِي الْمَعَانِي الْمَعْقُولَةِ: قَطْعُ الْوَصْلِ، وَقَطْعُ الرَّجَمِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾⁽³⁾.

(1) الْبَقَاعِي، نِظْمُ الدُّرَرِ: 7/116.

(2) ابْنُ فَارَسٍ، مَقَائِيسُ اللُّغَةِ: (قَطَعَ).

[محمد: 22]، ويُستعملُ بمعنى: الهلاك، قال تعالى: ﴿لَيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [آل عمران: 127]، ومنه: قطع دابر الإنسان، أي: إفناء نوعه، قال تعالى: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾⁽¹⁾.

(2) ﴿دَابِرٌ﴾: (دَبَرَ) أَصْلُهُ: أَخِرُ الشَّيْءِ وَخَلْفُهُ، خِلَافُ قَبْلِهِ⁽²⁾، ودَبَرَهُ: تَبِعَهُ مِنْ وَرَائِهِ، ودَابِرُ الشَّيْءِ: آخِرُهُ⁽³⁾، ودَابِرُ الْقَوْمِ: آخِرُهُمْ، التَّابِعُ لَهُمْ مِنْ خَلْفِهِمْ⁽⁴⁾.

وقولُهُمْ: قَطَعَ اللَّهُ دَابِرَهُ، أي: أَذْهَبَ اللَّهُ أَصْلَهُ، دَعَاءٌ عَلَيْهِ بِانْقِطَاعِ الْعَقِبِ حَتَّى لَا يَبْقَى أَحَدٌ يَخْلُفُهُ، تَذَهُبُ أَصُولُهُمْ، وَلَا يَبْقَى لَهُمْ أَثَرٌ⁽⁵⁾، وقطع دابر الإنسان: هو إفناء نوعه، قال تعالى: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾⁽⁶⁾، أي آخِرُ مَنْ بَقِيَ مِنْهُمْ⁽⁷⁾، فاستؤصل آخِرُهُمْ، وَلَمْ يَتْرَكْ مِنْهُمْ أَحَدٌ⁽⁸⁾.

❁ الْمَغْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ قَدْ "اسْتُؤْصِلَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بِإِهْلَاكِهِمْ بِالْكُلِّيَّةِ عَنْ آخِرِهِمْ، فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ أَحَدٌ، أَي: فَهَلَكَ أَوْلَئِكَ الْقَوْمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بِتَكْذِيبِ الرُّسُلِ وَالْإِصْرَارِ عَلَى الشَّرِّ، وَأَعْمَالِهِمُ الْخَبِيثَةِ بِالْكُلِّيَّةِ أَصْلًا وَفِرْعًا بِسَبَبِ ظُلْمِهِمْ، فَلَمْ تَبْقَ لَهُمْ بَاقِيَةٌ؛ لِأَنَّهُمْ اسْتُؤْصِلُوا بِالْعَذَابِ"⁽⁹⁾، وَهَذِهِ نِعْمَةٌ تَسْتَوْجِبُ الْحَمْدَ؛ لِأَنَّ إِبَادَةَ الظَّالِمِينَ نِعْمَةٌ مِنَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

تعاليل
مقتضى حكم
الاستئصال
بالمشتق للدلالة
على علوية ما
منه الاشتقاق
(الظلم)

(1) الراغب، المفردات: (قطع).

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (دبر).

(3) ابن منظور، لسان العرب: (دبر).

(4) ابن قتيبة، غريب القرآن، ص: 134، وأبو حيان، البحر المحيط: 4/515.

(5) الأزهرى، تهذيب اللغة: (دبر).

(6) الراغب، المفردات: (قطع).

(7) ابن منظور، لسان العرب: (دبر).

(8) الزمخشري، الكشاف: 2/23.

(9) الواحدي، البسيط: 8/145.

❁ الإيضاح اللغوي والبلاغي:

بلاغة الكناية عن الاستئصال بقطع الدابر:

استئصال الآخر
يستلزم انمحاء
آثار من قبله

في قوله: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ﴾ ذكر دابر القوم، وأراد أن القوم جميعاً قُطِعُوا واستُؤْصِلُوا، فهو "كناية عن استئصال شأفتهم ومحو آثارهم، كأنهم وردوا العذاب حتى ورد آخرهم الذي دبرهم" (1)؛ لأنّ ذهاب آخر الشيء يستلزم ذهاب ما قبله (2).

دلالة عطف جملة ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ﴾:

حمل عموم
الأخذ على
خصوص
الاستئصال

عُطِفَتْ هذه الجملة على قوله: ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ﴾؛ وذلك لما بينهما من اتصال في المعنى، فتكون هذه الجملة تفسيراً للأخذ، والمراد: أخذناهم بالاستئصال.

إيناز العطف بالفاء دون الواو:

التعجيل
بالعذاب عقب
تمخض ما
يُعاب

آثر التعبير بالفاء في قوله تعالى: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ﴾؛ لبيان أن القطع مُسَبَّبٌ عن الأخذ الموصوف (3)، وفي الفاء دلالة على السرعة في إيقاع العذاب حيث لم يتأخّر قطع دابرهم عن أولهم؛ وذلك لما فيها من التعقيب بلا مُهلة.

دلالة اختيار لفظ ﴿دَابِرٌ﴾ دون (آخر):

دلالة قطع
الدابر الموصول
على استئصال
الفروع الأصول

آثر القرآن لفظ ﴿دَابِرٌ﴾ دون آخر؛ لأنه يشير إلى الاستئصال الكلّي، وذلك ليفرّق بين فعل المنتصر في الدنيا، وبين فعل الله تعالى مع هؤلاء الظالمين؛ لأنّ من عادة الغالب من أهل الدنيا أن يفوته آخر الجيوش لملل أصحابه من طلبهم، بخلاف فعل الله تعالى؛ فتبيله لآخر كنيته للأول على حدّ سواء (4).

(1) ابن عطية، للحرر الوجيز: 2/292، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 7/231.

(2) القاسمي، محاسن التأويل: 4/361.

(3) البقاعي، نظم الدرر: 7/116.

(4) البقاعي، نظم الدرر: 7/116.

وَيُزَادُ عَلَيْهِ أَنَّ لَفْظَ الدَّابِرِ يَكُونُ بِمَعْنَى الْأَصْل، وَفِي هَذَا إِشَارَةٌ إِلَى قَطْعِ أَصُولِهِمْ؛ فَلَا تَمْتَدُّ بَعْدَ ذَلِكَ، وَهَذَا مَا فَعَلَهُ اللَّهُ مَعَ الْأُمَمِ السَّابِقَةِ؛ فَلَمْ يَبْقَ لَهُمْ أَصْلٌ وَلَا فَرْعٌ بخلاف لفظ آخر؛ فَإِنَّهُ لَا يُوَدِّي هَذِهِ الْمَعَانِي.

إِثَارُ صِيغَةِ الْفَعْلِ الْمَبْنِيِّ لِمَا لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ:

بَنَى الْفَعْلَ لِمَا لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ﴾؛ لِأَنَّهُ مَعْلُومٌ هُنَا، وَهُوَ اللَّهُ تَعَالَى، وَإِنَّمَا آثَرُ إِخْفَاءِهِ لِمَا فِي الْإِخْفَاءِ مِنَ الْهَيْبَةِ وَالتَّقْخِيمِ، وَفِي حَذْفِ الْفَاعِلِ (المَعْرُوفِ الَّذِي لَا يُجْهَلُ) إِرَادَةُ لِلتَّنْبِيهِ عَلَى فِدَاخَةِ الْفَعْلِ نَفْسِهِ وَصَرْفِ النَّظَرِ إِلَيْهِ دُونَ الْفَاعِلِ، فَآثَرُ إِخْفَاءِهِ "مُشِيرًا بِالْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ إِلَى تِمَامِ الْقُدْرَةِ"⁽¹⁾.

وَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى بَيَانِ أَسْلُوبِ الْقُرْآنِ فِي الْأَشْيَاءِ الَّتِي يَكُونُ فِي ظَاهِرِهَا الشَّرُّ، يُبْنَى الْفَعْلُ لِلْمَفْعُولِ كِرَاهَةً أَنْ يُسْنَدَ الشَّرُّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى تَأْدُبًا.

دَلَالَةُ إِثَارِ التَّعْبِيرِ بِالْمَوْصُولِ:

آثَرُ التَّعْبِيرِ بِالْمَوْصُولِ فِي قَوْلِهِ: ﴿الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ مَقَامَ الْمُضْمَرِ، فَلَمْ يَقُلْ: (دَابِرَهُمْ)⁽²⁾ "لِلإِشْعَارِ بِعِلَّةِ الْحُكْمِ؛ لِأَنَّ الْحُكْمَ إِذَا عُلِّقَ عَلَى وَصْفٍ صَارَ ذَلِكَ الْوَصْفُ عِلَّةً لَهُ، يَزْدَادُ الْحُكْمُ قُوَّةً بِقُوَّتِهِ، وَيَنْقُصُ بِنَقْصِهِ، وَوَفَّقَ هَذِهِ الْقَاعِدَةَ: فَإِنَّ هَلَاكَهُمْ بِسَبَبِ ظُلْمِهِمُ الَّذِي هُوَ وَضْعُ الْكُفْرِ مَوْضِعَ الشُّكْرِ، وَإِقَامَةُ الْمَعَاصِي مُقَامَ الطَّاعَاتِ"⁽³⁾، فَآثَرُ اسْتِعْمَالِ الْمَوْصُولِ اهْتِمَامًا بِمَا فِي حِيزِ الصَّلَةِ، تَنْصِيصًا عَلَى عِلَّةِ اسْتِصْالِهِمْ، فَتَبَّهَ عَلَى "سَبَبِ الْاسْتِصْالِ بِذِكْرِ الْوَصْفِ الَّذِي هُوَ الظُّلْمُ"⁽⁴⁾.

إِخْفَاءُ الْأَسْمِ
الْأَجَلِّ هَيْبَةً،
وَصَرْفُ النَّظَرِ إِلَى
فِدَاخَةِ الْفَعْلِ

تَعْلِيلُ الْحُكْمِ
بِالْمَشْتَقِّ يَدُلُّ
عَلَى عِلِّيَّةِ مَا مِنْهُ
الِاسْتِقَاقُ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 7/116.

(2) السيوطي، قطف الأزهار: 2/875.

(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 3/134، والآلوسي، روح المعاني: 4/144.

(4) أبو حيتان، البحر للحيط: 4/515.

إِثَارُ الْقَطْعِ دُونَ الْجَثِّ:

القطع
استئصال مأثمه
إلى الفناء

أَثَرَ الْفَعْلِ (قُطِعَ)؛ لَأَنَّهُ أَشَدُّ فِي النَّكَايَةِ وَالْعَذَابِ مِنَ الْجَثِّ؛
لَأَنَّ الْجَثَّ يَشِيرُ إِلَى الْقَطْعِ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ كَمَا فِي جَثِّ الشَّجَرَةِ،
قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ
الْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: 26] بخلاف القطع؛ فهو يدلُّ على القطع في الظاهرِ
والباطنِ المُدْرَكِ بالبصر أو البصيرة، كما يدلُّ على الهلاك والفناء
أيضاً؛ لذلك استعمله القرآن في مواطنٍ عديدةٍ مؤكِّداً هذا المعنى،
فاستعمله في قطع أعضاء الإنسان، قال تعالى: ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ
وَأَرْجُلَكُمْ﴾ [الأعراف: 124]، واستعمل في قطع الطريق وفي قطع الأرحام،
وفي إفناء الظالمين والكافرين، قال تعالى: ﴿لَيَقْطَعَنَّ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ
كَفَرُوا﴾ [آل عمران: 127]، وفي قوله: ﴿وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بَيَاتِنًا﴾
[الأعراف: 72]، إلى غير ذلك ممَّا يؤكدُ أَنَّ الْقَطْعَ أَعْمُ بخلاف الجثِّ؛ فلم
يَرِدْ إِلَّا فِي مَوْضِعٍ وَاحِدٍ فِي قِطْعِ الشَّجَرَةِ الْخَبِيثَةِ، وَذَلِكَ مِنْ فَوْقِ
الْأَرْضِ، وَلَيْسَ مِنْ بَاطِنِهَا.

وعلى هذا كان اختيارُ القرآن لهذا الفعل؛ لما له من دلالاتٍ في
موقفِ الكافرين المُعَانِدِينَ للرُّسُلِ - ﷺ - منها: أولاً: قطعُ أصلِ
الكافرين المُعَانِدِينَ ونسْلِهم من بعدهم، وهذا ماحدثَ مع الأقوامِ
السَّابِقَةِ، كَقَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ، فَلَا أَصْلَ لَهُمْ يُذَكَّرُ، وَثَانِيًا: التَّهْوِينُ
مِنْ شَأْنِ هَؤُلَاءِ الْكَفَّارِ، وَذَلِكَ بِاخْتِيَارِ هَذَا اللَّفْظِ الَّذِي يُسْتَعْمَلُ
فِي مَوَاطِنِ الذَّمِّ؛ فَقَالَ فِي حَقِّ الْكَافِرِينَ الْمُعَانِدِينَ مِنْ قَوْمِ عَادَ:
﴿وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بَيَاتِنًا﴾ [الأعراف: 72]، وَثَالِثًا: تحذيرُ كَفَّارِ مَكَّةَ
مِنْ فِعْلِ السَّابِقِينَ حَتَّى لَا يُقَطَّعَ دَابِرُهُمْ.

في حرفي القاف
والطاء من
الصفات ما
يناسب القوة
والشدّة

وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْفَعْلَ (قَطِعَ) أَقْوَى مِنَ الْفَعْلِ (جَثَّ): أَنَّ
حَرْفَ الْقَافِ فِيهِ قُوَّةٌ لَا تَوْجَدُ فِي حَرْفِ الْجِيمِ فِي (جَثَّ)، فَحَرْفُ
الْجِيمِ يَوْجَدُ مَعَ الْجِسْمِ الَّذِي فِيهِ هَشَاشَةٌ، وَإِنْ كَانَ حَجْمُهُ كَبِيرًا؛

بخلاف حرف القاف، فيوجدُ مع الجسمِ القَوِيُّ الصَّلْبُ، وكذا حرفُ الطَّاءِ فيه شِدَّةٌ واستِعلاءٌ، كُلُّ ذلك يُؤكِّدُ على أَنَّ البِنِيَّةَ اللُّغَوِيَّةَ لِمَادَّةِ (قَطَعَ) أَقْوَى مِنَ البِنِيَّةِ اللُّغَوِيَّةِ لِمَادَّةِ (جَثَّ).

عَلَّةُ التَّعْبِيرِ بِلَفْظِ الْقَوْمِ:

قد يُتَصَوَّرُ إمكانُ الاستغناءِ عنِ الإتيانِ بلفظِ القومِ في قوله: «**دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا**»، ويكونُ المعنى واضحاً من خلالِ جملة: (فقطَّع دابرُ الذين ظلموا)، لكنَّ أَتَى بلفظِ «**الْقَوْمِ**» لأنَّ الناظرَ في تصاريِفِها، وهي مأخوذةٌ من مادَّةِ (قَوَمَ)، يجدُ أنَّها في بعضِ معانيها تشيرُ إلى القوَّةِ والشِدَّةِ والاجتماعِ، وفي هذا دلالةٌ على أنَّ هؤلاءَ الذين قُطِعَ دابرُهم كانوا يتطاولون على الرُّسُلِ - عليهم الصَّلَاةُ والسَّلَامُ - بقوَّتِهِمْ وكِبَرِهِمْ وغطَّرسَتِهِمْ، وممَّا يؤكِّدُ ذلك أنَّ لفظَ (القوم) في أصلِ إطلاقه يكونُ للرجالِ دونَ النساءِ عندَ أغلبِ المعجميين.

وفيه إشارةٌ إلى هلاكِ كُلِّ الأَاقِوامِ السَّابِقَةِ؛ لأنَّ كُلَّ نَبِيٍّ يُبْعَثُ إلى قومِهِ؛ فالمرادُ بالقومِ: أهلُ دعوته، ويشيرُ - أيضاً - إلى عدمِ هلاكِ أُمَّةٍ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ لأنَّ دعوته عالميَّةٌ لكلِّ البَشَرِ، فليستِ خاصَّةً بقومِهِ، فمع وجودِ الظَّالِمِينَ والكافرين لم يَقْطَعْ اللهُ دابرَهم، بل أبقاهم لبقاءِ الأُمَّةِ الإسلاميَّةِ.

دَلَالَةُ اخْتِيَارِ الوَصْفِ بِالظُّلْمِ دُونَ الْكُفْرِ:

نبَّهَ على سببِ الاستتصالِ بذكرِ الوَصْفِ الذي هو الظُّلْمُ، وهو هنا الكُفْرُ⁽¹⁾، وقد اختارَ القرآنُ الكريمُ التَّعْبِيرَ بِالظُّلْمِ دُونَ الْكُفْرِ؛ لأنَّه أعمُّ، فيشملُ الكُفْرَ والشُّرْكَ والمعاصي، وكلُّ ذلك يندرجُ تحتِ الظُّلْمِ، وهذه الأَاقِوامُ لم تقفَ عند حدِّ الكُفْرِ، بل كفرتْ، وأشركتْ، وظلمتْ، وأيضاً؛ لأنَّ الظُّلْمَ: وضعُ الشَّيْءِ في غيرِ موضِعِهِ، وهؤلاءُ

بالغوا في
معاداتهم
وظلمهم
باجتماعهم
وشدَّتْهم

الاستئناسُ
بسببِيةِ الظُّلْمِ
لإدراجِ الأنواعِ في
الأجناسِ

(1) أبو حيان، البحر للحيط: 4/134.

الكفَّارَ وضعوا الآياتِ التي أنزلها الله عليهم من البأساء والضراء في غير موضعها، فجحدوا بها، وأصرُّوا مُستغرقين في غيِّهم، فظلموا الآياتِ، وظلموا أنفسهم.

دلالة (الواو) في قوله: ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾:

يَعْلَمُ اللَّهُ عِبَادَهُ
أَنْ يَحْمَدُوهُ عَلَى
عَمِيمِ فَضْلِهِ

يجوزُ أن تكون (الواو) عاطفةً لهذه الجملة على قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾ [الأنعام: 42]؛ وذلك لما بينهما من اتصالٍ، ويكون العطفُ من باب عطفِ غرضٍ على غرضٍ، ويجوزُ أن تكون اعتراضيةً، وعلى كلِّ فغرضُها الأصليُّ أن تكون هذه الجملة تعليمًا للرَّسول ﷺ والمؤمنين أن يحمَدوا الله على نصره رُسُلَه بإهلاكه الظَّالِمين⁽¹⁾.

فائدة التَّعْقِيبِ بِالْحَمْدِ عَلَى إِهْلَاكِ الظَّالِمِينَ:

إِنْجَازُ الْوَعْدِ
بِقَطْعِ ذَابِرِ
الْكَافِرِينَ بِقِتْضَى
حَمْدِ الشَّاكِرِينَ

عَقَّبَ بِالْحَمْدِ عَلَى الْإِهْلَاكِ لِبَيَانِ أَنَّهُ نِعْمَةٌ تَقْتَضِي الشُّكْرَ، وذلك في قوله جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ حَمِدَ اللَّهُ تَعَالَى نَفْسَهُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ عَلَى قَطْعِ ذَابِرِ الظَّالِمِينَ، وَاسْتِصْالِهِمْ⁽²⁾، وَمَعْنَى هَذَا: "أَنَّ قَطْعَ ذَابِرِهِمْ نِعْمَةٌ عَلَى الرُّسُلِ الَّذِينَ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ، فَكَذَّبُوهُمْ، فَذَكَرُ الْحَمْدِ هَاهُنَا تَعْلِيمٌ لَهُمْ، وَلَمَنْ آمَنَ بِهِمْ، لِيَحْمَدُوا اللَّهَ تَعَالَى عَلَى كِفَايَتِهِ إِيَّاهُمْ شَرَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا"⁽³⁾، حَيْثُ إِنَّ تَخْلِيصَ أَهْلِ الْأَرْضِ مِنْ سُوءِ عِقَائِدِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ نِعْمَةٌ جَلِيلَةٌ يَحِقُّ أَنْ يُحْمَدَ عَلَيْهَا⁽⁴⁾، وَ"لِمَا فِيهِ مِنْ إِنْجَازِ وَعْدِ اللَّهِ لِلرُّسُلِ بِالنَّصْرِ"⁽⁵⁾، وَفِيهِ "إِذَانٌ بِوُجُوبِ الْحَمْدِ عِنْدَ هَلَاكِ الظُّلْمَةِ"⁽⁶⁾، "لَا سِيَّمَا مَعَ مَا فِيهِ مِنْ إِعْلَاءِ كَلِمَةِ الْحَقِّ الَّتِي نَطَقَتْ بِهَا رُسُلُهُمْ" ⁽⁷⁾.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 7/232.

(2) الرَّجَاجُ، معاني القرآن وإعراجه: 2/249.

(3) الواحدي، البسيط: 8/145، وأبو حيان، البحر المحيط: 4/515.

(4) البيضاوي، أنوار التنزيل: 2/162، وشيخ زاده، حاشية على البيضاوي: 4/45.

(5) السيوطي، قطف الأزهار: 2/879.

(6) الزمخشري، الكشاف: 2/24.

(7) القاسمي، محاسن التأويل: 4/361.

دلالة اختيار (الحمد) دون غيره:

في قوله: ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: اختار القرآن (الحمد) دون غيره؛ لأنه أعم ألفاظ الثناء على الله رب العالمين، حيث يكون من باب الحمد لذاته ولصفاته التي فيها إنعام على خلقه، ويكون على النعمة الواصلة إليك أو إلى غيرك، وهذا هو المناسب لسياق الآية؛ لأن هلاك الظالمين نعمة على الكل سواء كانت بطريق مباشر أم غير مباشر؛ فهلاك الظالمين صلاح للمجتمع وحفاظ على بنيته وإبقاء لشرعيته؛ لأن الظلم يعمل على تغيير الحقوق وإبطال الشرائع ومحاربة الفضيلة؛ لذلك كان إهلاكهم من أعظم النعم للفرد والمجتمع.

سِرُّ التعبير بالمصدر (الحمد) دون الفعل:

عبر بصيغة المصدر دون الفعل (أحمد أو نحمد)؛ لإفادة العموم، بخلاف قولك: (أحمد الله)، فقد أخبرت عن حمدك دون غيرك، ولو قلت: (نحمد الله)؛ كان الفاعل للمتكلمين، ولم تدخل غيرهم في حمده؛ أما المصدر؛ فأفاد معنى عدم تحديد الفاعل، وهو بذلك يشير إلى حمد الكل لربه طوعاً أو كرهاً، فضلاً عن أن التعبير بجملة (الحمد لله) - وهي جملة اسمية - تفيّد الثبوت والاستمرار، بخلاف (نحمد) أو (أحمد)؛ فهي جملة فعلية، ومعلوم أنها تدل على التجدد والحدوث، فهي مرتبطة بزمن، في حين أن الاسمية لا ترتبط بزمن، فهي أدل على ثبوت الحمد من الفعلية، وفيه إشارة إلى ثبوت نعمة الحمد على هلاك الظالمين في كل زمان ومكان.

دلالة إسناد الحمد إلى لفظ الجلالة (لله):

في قوله: ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: أسند التعبير القرآني ﴿وَالْحَمْدُ﴾ إلى لفظ الجلالة (لله) مباشرة، ولم يسندّه إلى ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾؛ ولغيره من أسمائه الحسنى كالقاهر أو القادر مع مناسبتها سياق هلاك الظالمين؛ تنبيهاً على استحقاقه الحمد

هلاك الظالمين
الأعم يورث
نعمة تحرص
على مقام الثناء
الأتم

سوق المصادر
في معرض نثر
المحامد تشوّفاً
إلى صلاحية
الاستعمال دون
حدّ

تعليق الحمد
بالصفات
أشوق، ورفعته
إلى الذات أشرف

لذاته، أمّا إسنادُه إلى ربِّ العالمين أو إلى غيره من الصفات؛ فيكون إشارةً إلى استحقاقه الحمدَ لصفاته المذكورة دون ذاته.

سِرُّ الوصفِ بـ ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ بعد ذكرِ العذابِ:

وصفَ نفسه تعالى بأنَّه ربُّ العالمين بعد الحمدِ في قوله: ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾؛ إشعارًا بأنَّ "القضاءَ على الذين ظلموا بعد أنِ اختَبَرُوا بالبأساءِ والضَّرَاءِ، ثمَّ بالسَّراءِ والنَّعماءِ هو من تقديرِ الرُّبُوبِيَّةِ، وتدبيره سبحانه ربُّ العالمين" (1).

علَّةُ التَّعبيرِ بـ ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ دونَ (ربِّ النَّاسِ):

عَبَّرَ بـ ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ دونَ ربِّ النَّاسِ؛ لأنَّه أعمُّ، فيشملُ كلَّ الأجناسِ، والنَّاسُ جنسٌ منهم، وهذا مناسبٌ لقطعِ دابرِ الظَّالمين؛ لأنَّ الظُّلْمَ مرضٌ خطيرٌ وشرٌّ مستطيرٌ يهدِّدُ البلادَ والعبادَ؛ لذلك كلُّ الأجناسِ تحمِّدُ اللهَ على زوالِ الظَّالمينَ مِنَ الوجودِ.

الابتلاءُ بالسَّراءِ
والضَّرَاءِ من
تقديراتِ
الرُّبُوبِيَّةِ

تظاهرُ الأجناسِ
على أذْيَةِ
الظَّالِمِ،
وإجماعهم على
حُسنِ ردِّ المظالمِ

(1) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 5/2502، والطبي، فتوح الغيب: 6/88.

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد العاشر، سورة المائدة من الآية 107 إلى سورة الأنعام الآية 58
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

سنة الطبع: 1445هـ - 2024م

© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي

الطبعة الأولى: 2024م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:

مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: سورة المائدة من الآية 107 إلى سورة الأنعام الآية 58 [إشراف مجمع القرآن

الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-

الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2024.

مج. 10، 804 صفحة؛ 24x17 سم.

ردمك: 0-978-9948-798-62-0

يشتمل على ارجاعات ببلوجرافية.

مج. 10: سورة المائدة من الآية 107 إلى سورة الأنعام الآية 58.

1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-

ألفاظ أ- العنوان ب- مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).

قسم الدراسات والبحوث

التقييم الدولي: 0-978-9948-798-62-0

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-7560922 بتاريخ 2023/12/18م،

مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري

الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»